﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ١١٨﴾ [البقرة: 118]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعدما "تقرّر بما أنبأ من بديع آياتِه في مُنبثّ مصنوعاته أنّ عظمتَه تقصرُ عنها الأوهام، وتنكصُ خاسئةً دونها نوافذ الأفهام"[1]، ناسب أن يعطفَ قولًا للمشركين على قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥ﴾ "لمناسبة اشتراك المشركين واليهود والنّصارى في الأقوال والعقائد الضّالة"[2]؛ ليُبيِّن فيه حالتهم العجيبةَ وهي طلبُهم أن يكلّمَهم الله، أو أن يأتيَهم بآية من اقتراحهم، وتركهم الاعتراف بالقرآن الكريم آية، وهم مع ذلك مَنبَعُ الجهالة، وأهلُ الضّلالة؛ فقد وصفهم بأنّهم لا يعلمون، وأنّ حالهم ليس بدعًا مِن أحوال مَن سبقوهم من الغابرين؛ فقد قالُوا مثلَ مقالتهم.

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

1) ﴿يَعۡلَمُونَ﴾: فعل مضارع من الأفعال الخمسة مُسند إلى واو الجماعة، وأصل حروفه (علم) والاسم منه العلم، وله معانٍ عديدة منها أنّه "ضدّ الجَهل؛ رجل عَالم من قوم عُلَماء وعالمين، وأعلام القَوم ساداتهم، ومَعالم الدِّين: دلائله"[3] وفعل العلم يقتضي معلومين؛ الأوّل أصله مبتدأ، والآخر أصله خبر، على أن يكونا مفعولين، وهنا حَذَفَ المفعولَين.

2) ﴿يُكَلِّمُنَا﴾: فعل مضارع جذره اللّغويّ من (كلم)، وأصلُ الكاف واللّام والميم "يدُلُّ على نطق مفهم ... تقول كلّمته أكلّمه تكليمًا؛ وهو كليمي إذا كلّمك، أو كلّمته، ثمّ يتّسعون فيسمّون اللّفظةّ الواحدةّ المفهمة كلمة، والقصّة كلمة، والقصيدة بطولها كلمة"[4].

(1) البِقاعي، نظم الدّرر: 2/136.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/688.
(3) ابن دريد، جمهرة اللّغة: (علم).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كلم).

والكلام "يَقعُ على الأَلفاظِ المنظُومةِ، وعلَى المعاني الّتي تحتَها مجموعةً، وعندَ النَّحويين يقَعُ على الجزءِ منهُ؛ اسمًا كان، أو فِعلاً، أو أداة، وعند كثيرٍ من المُتَكَلِّمين لا يقَعُ إلّا على الجملةِ المُرَكَّبَةِ المفيدةِ"[1] والمعنى المراد في الآية لا يخرج عن معنى الكلام الوارد آنفًا؛ فإنّهم طلبوا أن يُكلِّمَهم الله، وهو نابعٌ من المبالغة في الجهل[2].

3) ﴿تَأۡتِينَآ﴾: فعل مضارع، الماضي منه (أتى)، وجذره اللّغويّ (أتو) وأصل معناه "يدُلُّ على مجيء الشّيء وإصحابه وطاعته، الأَتْو الاستقامة في السّير"[3].

ومصدره الإتيان، ومعناه "مجيءٌ بسهُولَةٍ ... والإتيان يُقال لِلمجيءِ بالذّات، وبالأمرِ وبالتَّدبيرِ، ويقالُ في الخير، وفي الشَّرِّ وفي الأعيانِ والأعراضِ"[4]، والمعنى في الآية أنْ تنزلَ عليهم آية ليؤمنوا، وهو طلبٌ نابعٌ من جهلهم.

4) ﴿ءَايَةٌ﴾: اسم مؤنث، ومعناها أنّها "طائفةٌ من القرآن، يتّصلُ بعضُها ببعضٍ إلى انقطاعِها، طويلةً كانت أوْ قصيرة"[5] ولها معنًى آخرُ جامعٌ وهو العلامة[6].

5) ﴿قَبۡلِهِم﴾: اسمٌ من الأسماء الملازمة للإضافة، وهو صالحٌ للظّرفيّة الزّمانيّة والمكانيّة، "القافُ والباءُ واللَّامُ أصلٌ واحدٌ صحيحٌ تدُلُّ كَلِمُهُ كلُّها على مواجهةِ الشَّيءِ للشَّيءِ"[7]، وله معانٍ كثيرة جدًّا تنتمي إلى هذا الأصل، أمّا (قبل) المذكور في الآية فقد فُسّر بأنّه خلاف (بعد)، ولا يكون من هذا الأصل إلّا بالتّأويل على تقدير هو مقبل على الزّمان[8] و "يُستعمل في التَّقَدُّم المُتَّصِلِ والمُنفَصِلِ، ويُضَادُّهُ بَعْدُ"[9] ومعنى (قَبْلهم) في الآية يفيد الزّمان.

6) ﴿مِّثۡلَ﴾: اسمٌ جذره اللّغويّ (مثل)، وأصلّه اللّغويّ "يدُلُّ على مناظَرة الشَّيء للشَّيء، وهذا مِثْل هذا، أي نَظيره، والمِثل والمِثال في معنًى واحدٍ"[10].

---

(1) الرّاغب، المفردات: (كلم).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/689.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أتو).
(4) الرّاغب، المفردات: (أتى).
(5) الكفويّ، الكليّات، ص: 41.
(6) ابن منظور، لسان العرب: (أيا).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قبل).
(8) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قبل).
(9) الرّاغب، المفردات: (قبل).
(10) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (مثل).

ومعناه المِثْلُ "شِبهُ الشّيءِ في المِثال والقَدر ونحوِه حتّى في المعنى، ويُقال: ما لهذا مَثيلٌ، والمِثالُ: ما جُعِلَ مِقداراً لغيره، وجمعُه مُثُل"[1].

و"المثل عبارةٌ عن قولٍ في شيءٍ يشبه قولًا في شيءٍ آخر بينهما مشابهةً لتبيين أحدهما للآخر وتصوّره"[2] وهو المعنى المراد في الآية، وهو أنّ قولَ السَّابقين مثلُ قولِ اللّاحقين، فهو طباقه في الجهل والباطل.

7) ﴿تَشَٰبَهَتۡ﴾: فعل ماضٍ مزيد على وزن (تَفاعَلَ)، وهو من أوزان الفعل الثلاثيّ المزيد، وغالبُ معانيه المفاعلة والمشاركة، والجذر اللّغويّ له (شبه)، أمّا الأصل اللّغويّ له فإنّه "يدُلُّ على تشابه الشّيءِ، وتشاكلِه لونًا ووَصفًا، يقال: شِبْه وشَبَه وشبيه، والشّبه من الجواهر الّذي يشبهُ الذَّهب، والمشبهات من الأمور المشكلات، واشتبه الأمران إذا أشكلا"[3] أمّا المعنى العام للشّبه فهو "الشِّبْهُ والشَّبَهُ والشَّبِيهُ حقيقتُها في المُماثلَةِ من جِهةِ الكَيفِيَّةِ، كاللّونِ والطَّعمِ، وكالعَدالةِ والظُّلمِ"[4]، ومعنى ﴿تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ أي في الغيّ والضّلالة وسوء النّظر[5]؛ فقال كلٌّ منهم مقالةَ سوء في طلب أن يكلِّمَهُمُ اللّه، وأن يأتيَهم بآية.

8) ﴿قُلُوبُهُمۡۗ﴾: جمع تكسير يفيد الكثرة، مفرده (قلب)، جذره اللّغويّ (قلب)، وله أصلان صحيحان "أحدهما يدُلُّ على خالص شيء وشريفه، والآخر على ردّ شيء من جهة إلى جهة"[6]، والمعنى المحوري لهذه اللَّفظةِ: "باطنُ الشَّيء ولُبُّه كالقلوب المذكورة، وقَلْبُ الأرض إخراجٌ لباطنها، ومن ذلك القَلْب المضغة المعروفة؛ لأنّها أهمُّ ما في الباطن وأقواه"[7] وهو المرادُ في الآية.

"وقلب الشّيءِ: تصريفُه وصرفُه عن وجهٍ، كقلبِ الثّوب وقلبِ الإنسان، قِيل سُمّي به لكثرةِ تقلّبه، ويُعبّر بالقلب عن المعاني الَّتي تختصُّ به منَ الرّوح والعلم والشّجاعة"[8]

(1) الخليل، العين: (مثل).
(2) السَّمين، عُمدة الحفّاظ: 4/68.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (شبه).
(4) الرّاغب، المفردات: (شبه).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/689
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قلب).
(7) جَبَل، المُعجم الاشتقاقي المؤصّل: (قلب).
(8) السَّمين، عُمدة الحفّاظ: 3/330.

ولا يخرج المعنى السّياقيّ للفظة ﴿قُلُوبُهُمْ﴾ في الآية عن عامّة المعاني الواردة آنفًا، وقد فسَّرَها بعض المفسِّرين بمعنى العقول، وهو صواب.

9) ﴿لِقَوْمٍ﴾: اسم ثلاثيّ مجرّد زنة (فَعْل)، وهوَ منَ القافِ والواو والميم، أصل يدُلُّ على الجماعة منَ النَّاس، ويُقال إنّه جمعُ امرىء[1]، والصّواب أنّه اسمُ جمع[2] أي: ما له واحدٌ من معناه كرجل أو امرأة، وليس له واحدٌ من لفظه.

10) ﴿يُوقِنُونَ﴾: فعلٌ مُضارع من الأفعال الخمسة، مسند إلى واو الجماعة، أصله (يؤقنون) لأنّ ماضيه (أيقنَ) فحُذفت الهمزة تخفيفًا، وجذره اللّغويّ (يقن) ومصدره اليقين، ومعناه "العلم وزوالُ الشك، يُقال منه يَقِنْتُ الأمر يَقَناً، وأيْقَنْتُ، واسْتَيْقَنْتُ، وتَيَقَّنْتُ، كلُّه، بمعنًى، وأنا على يَقين منه"[3].

و"اليَقِينُ من صِفَةِ العِلم فَوقَ المعرِفَةِ والدِّرايَةِ وأَخَواتِها، يقالُ: عِلمُ يَقِينٍ، ولا يقال: مَعرِفَةُ يَقِينٍ، وهو سُكونُ الفَهمِ مع ثَباتِ الحُكمِ"[4] ومعنى ﴿يُوقِنُونَ﴾ في الآية: همُ القوم الّذين "يُظهرون اليقين ويعترفون بالحقّ"[5].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

تُخبِر الآيةُ عن قول المشركين، بطلبِهم أن يكلِّمَهم اللّه، أو أن يأتيَهم بآية، مع وجود الآيات البيّنات، القرآنيّة والعقليّة والكونيّة بما أعجزَ الفصحاء والبلغاء، لكنّهم أعرضوا، وهذا دأبُ الكافرين، وهم في مقولاتهم تلك يُشابهون مقولات الّذين سبقوهم؛ لأنّه لمّا كانت قلوبُهم مُتشابهة كان كلامُهم مُتشابهًا؛ لذلك ذكرَّهم الحقّ تباركَ وتعالى بأنّه قد بيّنّ الآيات للّذين يُوقِنون "أي يطلبون اليقين، أو يُوقنون الحقائق لا يعتريهم شبهة، ولا عناد، وفيه إشارةٌ إلى أنّهم ما قالوا ذلك لخفاءٍ في الآيات، أو لطلبِ مزيد اليقين، وإنّما قالُوه عُتُوّاً وعِنادًا"[6].

---

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (قوم).

(2) مُصطلح صرفيّ يُعنى به ما لا واحد له من لفظه، لكن من معناه مثل قوم ورَهط؛ فإنّ مفرده امرؤ، بخلاف ركب فإنّ مفرده راكب، يُنظر: شذا العرف في فنّ الصّرف، أحمد الحملاوي، ص: 98.

(3) الجَوهري، الصّحاح: (يقن).

(4) الرّاغب، المفردات: (يقين).

(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/691.

(6) البَيضاوي، أنوار التّنزيل وأسرار التّأويل: 1/103.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

بلاغةُ إسنادِ القولِ إلى قائله:

في الإسنادِ تشنيعٌ بليغٌ، وتقبيحٌ لديغٌ، يُناسِبُ المُتجرِّئ على الله بغيرِ علمٍ

أُسند القول إلى ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ في قولِه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ﴾، ولهذا الإسنادِ معنًى دقيقٌ، فالأصلُ في الأقوالِ أن تصدُرَ عن علمٍ، فما بالُها هنا صدرَتْ عنِ الّذين لا يعلمون ما يقولون! وما أعظمَ قول مَنْ لا يعلم! وبقطعِ النَّظرِ عنِ المقصودِ بالموصولِ؛ فإنَّ كلَّ من تكلَّم بالمقولِ المذكورِ فهو داخلٌ في حيِّزِ الصلةِ، وهذا من بليغِ الكلامِ، المومِئ إلى سخافةِ القائلِ وقباحةِ قولِه، ففي الإسنادِ تشنيعٌ بليغٌ، وتقبيحٌ لديغٌ، يُناسِبُ مَنْ يتكلَّمُ بغيرِ علمٍ.

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ المضارعِ:

نفيُ العلمِ لا تعلُّق له بالمعرفةِ، بل بما تُفيدُه المعرفةُ في الاعتقادِ والقولِ والعملِ

عبَّرتِ الآيةُ بصيغةِ الفعلِ المضارعِ المنفي: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ ليدُلَّ على تجدُّدِ جهلِهم، ونفي العلمِ عنهم على الحقيقةِ، وعلى فرَضِ علمِهم فإنَّ عدمَ الانتفاعِ به يُؤدِّي إلى الاتِّصافِ بالجهلِ، وتسميتهم بذلك؛ لمّا لم ينتفعوا بعلمهم[1]؛ فيكون مَثَلُهم ﴿كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ﴾ [الجمعة: 5].

دلالةُ حذفِ المفعولِ:

وصفُ القائلِ بعدمِ الإدراكِ والتَّمييزِ؛ لفرطِ غباوته

حُذِفَ مفعولُ العلمِ في قوله: ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ اقتصارًا؛ "لأنَّ المَقصودَ إنَّما هو نَفيُ نِسبَةِ العِلمِ إليهم، لا نَفيُ عِلمِهم بشَيءٍ مَخصوصٍ، فكأنَّهُ قِيلَ: وقال الَّذين ليسُوا مِمَّنْ له سَجِيَّةٌ في العِلمِ لفَرطِ غَباوتِهِ، فهي مَقالَةٌ صدرَتْ مِمَّنْ لا يَتَّصِفُ بتَمييزٍ ولا إدرَاكٍ"[2].

(1) المَاتُريدي، تأويلات أهل السُّنَّة: 1/549

(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 1/587.

دلالة ﴿لَوۡلَا﴾ على التحضيض:

كـشـفُ الـنَّـوايا الـبـاطـنـيَّـة، والـنُّـفـوسِ الـمُـتـكـبِّرَةِ في طلبها المساواة بالأنبياء!

﴿لَوۡلَا﴾ هنا ليست للشَّرط، بل هي حرفٌ يفيدُ التّحضيضَ؛ لوقوعِ الفعل المضارع بعدها، وهي بمعنى (هلّا) "قصد منه التّعجيز والاعتذار عن عدم الإصغاء للرّسول استكبارًا بأنْ عدّوا أنفسَهم أحرياء بالرسالة"[1]، فهم على قلّةِ مَداركهم، وعدمِ الانتفاعِ بالعلم الّذي يأتيهم يتأمَّلونَ منهُ تعالى أنْ يكلّمَهم، "كما يكلّمُ الملائكةَ وكلّمَ موسى؛ استكبارًا منهم وعُتُوًّا"[2]، وفي ذلك مكابرةٌ منهم في طلبِ مساواتهم بنبيِ اللّهِ موسى عليه السلام!

دلالةُ المقابلةِ:

تـحـديـدُ الـمـرادِ بالآية بناءً على دلالةِ المُقابِل

المقابلةُ بين مطلوبَي ﴿ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ وهما: الكلامُ، والآيةُ، يدُلُّ على أنَّ المقصودَ بالآية الماديَّةُ؛ لمقابلتها بالمعنويَّةِ، وإلَّا فالآيةُ شاملةٌ للاثنين، وتنكيرُ ﴿ءَايَةٌ﴾ للنَّوعيَّة؛ لأنّهم أرادوا مُطلق الآيات؛ فلا يريدون آيةً بخصوصها، بقدرِ ما يُريدون آيةً مُتَّصفةً بخرق العادة.

غرضُ التَّشبيه:

التَّـهـديـدُ والتَّرهيبُ لمن تابعَ المُكذِّبين في أقوالِهم واعتقاداتِهم

غرضُ التَّشبيه في قولِه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ إثباتُ سنَّةِ اللّه تعالى في المُكذِّبين، فاللّاحقون على نَهجِ السَّابقين، في معاداةِ الحقِّ واتِّباعِ الهوى، وطلبِ المُنكرات؛ فأقوالُهم ما هي إلَّا بُهتانٌ وزُورٌ ومُنكر، كما كانتْ أقوالُ المُتقدِّمين؛ وفيه تهديدٌ وترهيبٌ ضمنيٌّ بإنزالِ ما نزَلَ بأسلافِهم من الأممِ السَّابقة.

دلالةُ حرفِ ابتداءِ الغايةِ:

استغراقُ الأقوامِ السَّابقين وخاصَّة القريبين زمانيًّا

جاءَ استعمالُ حرفِ الجرِّ في قولِه تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم﴾، ولم يقُلْ: الّذين قبلَهم؛ ذلك أنَّ دخولَ حرف الابتداءِ يُعطي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/689.
(2) الزّمخشري، الكشّاف: 1/316.

دلالةً استغراقيَّةً للأقوامِ السَّابقين الّذين صدرَت عنهم مثلُ هذه المَقالة، ويُعطي إشارةً إلى أنَّ هذا القولَ صَدَرَ عن الأقوامِ القريبين زمانيًّا، فهو استغراقٌ يخصُّ القريبين منهم زمانيًّا.

الجمع بين تشبيهِ الأقوال وتشابهِ القُلُوب:

تشابه القلوب نشأ عنه تشبيه الأقوالِ بالأقوال، فالتّشابه بمنزلةِ الأصلِ للفرعِ

في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾ تشبيهُ القولِ بالقول في ﴿مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡ﴾ "﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾؛ فإنّ تشابهَ القُلُوب يلزمُ منه تشابهَ الأقوالِ النَّابعةِ لِمَا في القلب، فقد جمع بين التّشبيه والتّشابه"[1]؛ فالتّشبيه للأقوال، والتّشابه للقلوب، فتشابه القُلُوب في الكُفر والطّغيان وعدم قبول الحقِّ كالتَّقرير لتشابهِ الأقوال، "أي: كانت عقولُهم متشابهةً في الأفن وسوء النّظر؛ فلذا اتّحدوا في المقالة"[2].

تماثُلُ الفروعِ لا يعني تشابهَ أصولِها:

التّنبيه على تشابهِ الأصولِ تحذيرٌ ضِمنيٌّ، والتّنبيه على تماثلِ الفروعِ دليلٌ صريحٌ

تشابهُ القلوبِ لا يعني تماثُلَها من كلِّ الوجوه، بينما الأقوالُ فقد تماثلَتْ، ذلك أنَّ التَّماثُلَ بين الأقوالِ حاصلٌ، فهي فروعُ الأُصولِ، بخلافِ الأصولِ فقد تختلف من جهاتٍ وتتَّفق من جهاتٍ أُخرى، لذلك قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ﴾، فوَصَفَ القلوبَ "بالتَّشابه لا بالتَّماثل، فإنّ القلوبَ وإن اشتركَت في هذا القول، فهي مُختلفةٌ لا مُتماثلة"[3]؛ فلا يمكن لقلب أن يماثلَ قلبًا آخر في التّفكير والإحساس وسواه، وهو استعمالٌ دلاليٌّ دقيقٌ، وفائدةُ ذلك التَّنبيه على مشابهةِ الأصولِ، حذرًا من الوقوع في تماثلِ الفروعِ في الأقوالِ والأفعال والسُّلوكيَّات.

(1) السَّبكي، عَرُوسُ الأفراح: 2/88.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/690.
(3) الهاشمي، تخجيل مَن حرَّف التّوراة والإنجيل: 1/415.

سرُّ التَّعبيرِ بالتَّبيين لا بالإتيانِ:

التَّفريقُ بين الآياتِ الكونيَّةِ والآياتِ القرآنيَّةِ

قال تعالى: ﴿بَيَّنَّا ٱلْآيَـٰتِ﴾ ولم يَقُلْ: آتيناكَ أو أَعطَينَاكَ الآياتِ؛ كما قال على لسان القَومِ: ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾؛ للتَّفرقَةِ والفصلِ بينَ آياتِ القُرآنِ الَّتي هي مِن عِلمِ اللهِ وكلامِهِ، يَظهَرُ بها الحَقُّ بطريقٍ مَعقُولٍ بَيِّنٍ لا يَشتَبِهُ فيه الفَهمُ، ولا يَحارُ فيه الذِّهنُ، وبَيْنَ الآياتِ الكونيَّةِ الَّتي هي مِنْ صُنعِهِ يَستَخذِي لها العَقلُ ويَخضَعُ لها؛ لشعورِهِ بأَنَّها مِنْ قُوَّةٍ فوق قُوَّتِه[1].

سِرُّ العدولِ عن طلبِ السَّائلين:

بلاغةُ الرَّدِّ في الإفصاحِ عن الزِّيادةِ عمَّا طلبوا، توبيخًا وتقبيحًا

لمَّا طلب المشركون: ﴿أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ عَدَل عمَّا طلبوا إلى الزِّيادة فجمعَ الآيات، بدلًا من إفرادِها، وعدلَ عن لفظِ الإتيانِ إلى لفظ التَّبيّين، توبيخًا لطلبِهم، وتقبيحًا لسؤالِهم، وتفظيعًا لحالِهم، فقال تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَـٰتِ﴾، فجاءهم الردُّ في "تعريف الآيات وجمعِها، وإيراد التّبيّين المفصح عن كمال التّوضيح"[2]، توبيخًا لهم، فهم طلبوا إتيانَ آيةٍ؛ فبُيِّنتْ لهم آيات، وهذا من بديع الرَّدِّ على الجاحدين، ولك أن تحملَ الكلامَ على الإعراضِ عن إجابتِهم، تنزيلًا لهم منزلةَ مَن لا يستحقُّ الجواب؛ "لأنّهم ليسوا بقوم يُوقنون، بل ديدنهم المكابرة"[3]، والوجهان متآيلان، فالتَّقبيحُ فيه نكهةُ الإعراضِ، كما أنَّ الإعراضَ هو نوعٌ من التَّقبيح الأليم.

توجيه المخصوصِ بالذِّكرِ:

اليقينُ هو مُنتهى الوثوقِ بأدلةِ الإيمانِ

خصَّتِ الآيةَ بوصفِ المؤمنين بصفةِ اليقين، دون غيرِها من الصِّفاتِ في قولِه تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْآيَـٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾، فالقرآنُ "آياتٌ قاهرةٌ، ومعجزاتٌ باهرةٌ لمن كان طالبًا لليقين"[4]، والتَّعبيرُ

(1) محمّد رشيد رضا، تفسير المَنار: 1/363.
(2) القَاسمي، محاسن التَّأويل: 1/240.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/690.
(4) الرّازي، مَفاتيح الغَيب: 4/32.

باليقينِ يمثِّلُ مُنتهى الوثوقِ، "أي: من شأنهم أن يُوقِنوا عند وجود الدَّليلِ، لا يتردَّدون وليس من شأنهم التَّردُّد، وينتهي تردُّدهم بالجحود"[1]، واليقين قضيّة تستقرُّ في القلب، وهو يُشبه الإيمانَ في إمكانِ تجدُّدِه وفقًا للحوادثِ والدَّلائل.

فائدةُ التَّعبير بالفعل المضارع:

جاءَ التَّعبيرُ بصيغةِ الفعل المضارِع في قولِه تعالى: ﴿قَدْ بَيَّنَّا ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾؛ لبيانِ أنَّ اليقينَ أمرٌ مُتجدِّدٌ، يقوى ويَضعف بحسبِ صاحبِه، والمرادُ بتجدُّدِه في هذا السِّياقِ المدحُ والثَّناءُ، لا مجرَّد الوصفِ، أي هم يُوقنون على الدَّوام زيادةً وقوَّةً، وفيه تعريضٌ بغيرهم، إذ "من شأنهم أن يُوقنوا عند وجود الدَّليل، لا يتردَّدون وليس من شأنهم التَّردّد، وينتهي تردّدهم بالجحود"[2]، واليقين قضيّة تستقرُّ في القلبِ، وهو يشبهُ الإيمانَ في إمكان تجدُّده وفقًا للحوادث والدّلائل.

المدحُ والثَّناءُ للمُؤمنين؛ بزيادةِ يقينِهم عند ظُهورِ الدَّلائلِ، والتَّعريضُ بغيرِهم

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(جاءَ) و(أتَى):

(أتى): فعل، ومصدره الإتيان، ومعناه "مَجيءٌ بسهُولَةٍ ... والإتيانُ يقالُ للمجيءِ بالذاتِ، وبالأمرِ وبالتَّدبيرِ، ويقالُ في الخيرِ، وفي الشَّرِّ، وفي الأعيانِ والأعراضِ"[3].

وهناك فرق بين (جاء) و(أتى)؛ لأنّ "قَوْلك: (جاءَ)، كلامٌ تامٌّ لا يحتاج إلى صلَة ... ولهذا يُقال: جاءَ فلان نَفسه"[4] أمّا الفعل (أتى) فإنّه "يَقتَضِي مجيئه بشَيء ... وَلَا يُقال أَتَى فلَان نَفسه"[5]، فثبت أنّ كلَّ لفظ يحسن مَوقعه بحسب دلالته، ولا يقع لفظُ مَوقِع الآخر في الكتاب الكريم، أمّا في اللّغة فعلى سبيل التّجوز، أو لأنّه "كثر ذلك حتَّى استُعمِل أحد اللَّفظَينِ في مَوضِع الآخر"[6].

(1) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/385.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 1/385.
(3) الرّاغب، المفردات: (أتى).
(4) العَسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 309.
(5) العَسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 309.
(6) العَسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 309.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»